Archive of SID

أ. محمد أسد شهاب

العصر المتردّي

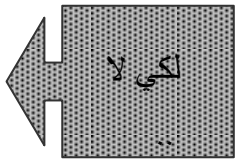

كتب المؤرخ الاندونيسي الكبير الراحل محمد اسد شهاب في كتابه (ابو المرتضى بن شهاب) وهو يتحدث عن فترة الربع الأول من القرن الميلادي العشرين ما يلي:

العصر المتردي:

العصر الاسلامي في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين الميلادي كان عصر ركود، واسترخاء فكري، وخمول ذهني، هيمن على معظم النواحي والمجالات الاجتماعية والسياسية والتعليمية والتربوية والاقتصادية، بل على كل مرافق الحياة الادبية والثقافية وغيرها في العالم الشرقي. اسبابها كثيرة، منها تكالب الدول الغربية على الخلافة الاسلامية، وتمزق المسلمين في الداخل، والضعف العام، ولذلك يصفه بعض المؤرخين بأنه عصر الضعف

www.SID.ir

Archive of SID

والمسكنة والاسترخاء بالنسبة للمسلمين، وقد تساقط جل البلدان الاسلامية من عقد الخلافة في أواخر عهدها، الواحدة بعد الاخرى، لتكون مستعمرة تابعة لدولة غربية! أو شرقية.

تأبى الدول الغربية أن تناف سها دولة اسلامية، فهي ترى وجود الخلافة الاسلامية خطراً عليها، فتخشاها وتعتبرها عدوها اللدود الذي يجب محوه وازالته من الوجود، فانبرت الدول الغربية مجتمعة، على رغم الخلافات بينها، متحدة ضد الخلافة الاسلامية، تحوك المؤامرات عليها لاستنزاف قواها ومحاصرتها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وتسللت الأيدي الصهيونية، وظهرت الافكار العصرية حتى تردت الاوضاع الداخلية، مما سهل تسبب الانفجار لتحطيمها.

استنبول عاصمة الخلافة الاسلامية، اصبحت في شغل شاغل بمشاكلها الامنية الداخلية وتردي السياسة الخارجية، فازدادت سوءاً واستعصاءً كلما مرت بها الايام.

وكانت مؤامرة الدول عليها مستمرة متواصلة، بل تشتد ضد الخلافة فيها لاجتثاثها. نرى اقطار اوروبا الشرقية البلقان، التي تحميها دولة الخلافة الاسلامية، تتساقط الواحدة تلو الاخرى لتصبح تلك البلدان بمساعدة الدول الاوروبية المتحالفة، حكومات مستقلة ذات سيادة،

www.SID.ir

Archive of SID

تتصدى لمجابهة ومقارعة دولة الخلافة الاسلامية، التي دعتها دول اوروبا بالدولة الاستعمارية، حتى لقد تأثر بهذه الدعاية كثير من المسلمين، حيث يسمون الخلافة الاسلامية بالدولة الاستعمارية، واخذت صفحات الكتب واعمدة الصحف بهذه النغمة الغربية في محاربة الخلافة الاسلامية، والهدف من ذلك اضعاف نفوذ الخلافة الاسلامية في العالم الاسلامي، وبث روح القومية والوطنية لتفقد دولة الخلافة قدرتها، وينفلت زمام السلطة والحكم من قبضتها، فتجرها الى العجز عن مجابهة المشاكل الخارجية، لانشغالها بالامور الداخلية المستعصية حينذاك، مما سهل إضعاف دولة الخلافة الاسلامية، وتمزيقها الى أجزاء باسم قوميات وشعوب جديدة، ما كانت معروفة ولا موجودة من قبل.

جل البلدان الاسلامية التي اقتطعت من جسم الخلافة الاسلامية، وقعت في براثن الاستعمار الشرقي الروسي او الغربي الاوروبي، ترزح تحت وطأة الظلم وطغيان الاستعباد، واصبح العالم الاسلامي عاجزاً ضعيفاً يعتوره الوهن الشامل حتى كاد يفقد الأمل في معالجته.

كانت الدول الغربية الكبرى آنذاك، وهي انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا، يسوؤها أن ترى الخلافة الاسلامية المتمثلة في الدولة التركية تسيطر على هذه الارجاء الواسعة،

www.SID.ir

Archive of SID

ولها قوة الشكيمة والسلطة الواسعة والنفوذ العظيم في قلوب الملايين من المسلمين من هذا العالم، لذلك اجمعت هذه الدول سلوك سبيل المؤامرات لاضعاف الخلافة التركية، وارهاقها بالثورات الداخلية. وانطلاقاً من هذا الاتفاق ألبّت شعوب اوروبا الشرقية، الواقعة تحت حماية دولة الخلافة الاسلامية، على الانتفاض والثورة عليها، ومدت الثوار بالاسلحة والعتاد، فثارت بلغاريا وصربيا ورومانيا وغيرها، واشغلت هذه الثورات المسلحة المتوالية دولة الخلافة، وانهكت ميزانيتها الى حد كبير، في حين كانت الدول الغربية تعمل من الخارج للضغط على دولة الخلافة، ومحاصرة نفوذها بصفة غير مباشرة. كيف لا وهذه الدولة الاسلامية في اوروبا قذىً في اعين الغربيين.

ان معاهدة سان ستيفانو عام 1878م قد وجهت بوجه خاص لإضعاف الحكم الاسلامي، ومساعدة شعوب البلقان للتمرد على دولة الخلافة طلباً للاستقلال، وقد اعترفت هذه المعاهدة باستقلال دول رومانيا، الجبل الاسود، صربيا، كما انشأت دولة بلغاريا. واستمرت هذه الدول الكبرى تمد الشعوب حتى انفصلت عن الدولة الاسلامية، وما ان استقلت هذه الدول حتى اشتدت عداوتها لدولة الخلافة الى ابعد الحدود.

www.SID.ir

Archive of SID

هذا التدهور المستمر في مستوى قوى دولة الخلافة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، اثار الغيرة والحمية في قلوب الشباب المتحمس، واخذوا يتهامسون فيما بينهم بعدم رضاهم واستيائهم من الاوضاع المتدهورة لدولة الخلافة، وانها تسير الى الحضيض وهم يرونها ويشاهدونها، جر ذلك الى تكتل الشباب من جميع الطبقات، بما فيهم القوات المسلحة، وقرروا انه لابد لهم من القيام بعمل جاد لانقاذ دولة الخلافة من الانهيار، وللمحافظة على كيان الدولة لا بد من ابعاد وبتر من يعتبرونه غير صالح للحكم، او ضعيفاً في ادارة الدولة وقلب الاوضاع كلها الى مستوىً جديد، والمعروف ان لدول الاستعمار عملاء يخدمون المصالح الاستعمارية، لتحطيم المسلمين وتمزيقهم الى أُسر قَبَلية وجماعات عشائرية وكتل عنصرية، غُذيت بعقائد مزخرفة من إلحادية اشتراكية، او دينية تزمتية متطرفة، استعين في نشرها بمن يتقمصون الدين لتعزيز نشر المفاهيم التي تجر المسلمين الى التمزق والويلات، هؤلاء وهؤلاء هم السبب الاول في هذه المأساة المؤلمة، التي حطمت المسلمين وورطتهم في التخلف الفكري.

www.SID.ir

الانقلاب التركي:

يعتبر يوم 27 نيسان / ابريل عام 1909م في

Archive of SID

تاريخ دولة الخلافة، يوماً جرى فيه أكبر حادث، كان بداية لمآسي من الانقلابات التي تعتبر نقطة تحول خطير، اذ حدثت تبدلات عظيمة في سياسة دولة الخلافة آنذاك، ففيه قام جماعة من الشباب التركي لجمعية تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي، فاتحدوا وأجمعوا أمرهم، وانقضّوا على الخليفة عبد الحميد وأجبروه على التنازل عن السلطة، ولم تكن فكرة ازالة الخلافة او اقامة جمهورية قد تخمرت في اذهانهم، بل كانوا يطلبون اصلاحاً عاماً، وجعل الحكومة شبه علمانية، مع بقاء دولة الخلافة رمزية.

في ذلك اليوم فقد الخليفة عبد الحميد سلطته، واقتادوه مخفورا الى منفاه في سلانيك، وعين بعده اخوه محمد الخامس، وحاول القيام باعباء السلطة، لكنه عجز عن مجابهة الشباب التركي، فسلم الامر والقيادة اليهم مختاراً، ولم يطل عهد الحكومة الفتية حتى اخذت تواجه عدة قضايا ومشاكل كبيرة، ما كانت تحسب لها حساباً من قبل.

في عام 1912 عقد ممثلو شعوب صربيا وبلغاريا واليونان اجتماعاً، قرروا فيه اقامة حلف دفاعي مشترك بينهم، هدفه مجابهة الخلافة وتحطيمها، وكان ذلك بإيعاز من روسيا بضمان منها لمساندة الحلف الثلاثي الدفاعي، وتعرضت دولة الخلافة من جراء ذلك

www.SID.ir

Archive of SID

للثورات الداخلية باستمرار، من شعوب اوروبا الشرقية الواقعة تحت حماية دولة الخلافة.

انتهزت ايطاليا فرصة انشغال دولة الخلافة بمشاكلها الداخلية في البلقان، وباتفاق مع دول اوروبا الغربية وبمساعدة فرنسا هاجمت ايطاليا ليبيا، واحتلت طرابلس وبرقة بعد معارك ضارية ومقاومة شديدة أبداها الشعب الليبي، وهي المعارك المعروفة بحرب طرابلس الغرب، وهكذا تم لإيطاليا احتلال ليبيا عام 1913، غير ان الشعب الليبي رفض الاحتلال، وقاوم بكل قوة وضراوة واستمرت المقاومة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية.

تمرد شعب الجبل الاسود على حكم دولة الخلافة، ثم أعلن انفصاله عنها واستقلاله بالحكم دولة حرة مستقلة، ثم تبعه شعب صربيا وبلغاريا بعد ذلك، ومن ذلك الحين بدأ ينكشف الضعف الكامن في دولة الخلافة، وأخذ نجمها بالأُفول، ثم وهنت شوكتها في جميع الحقول والمستويات، حتى اضطرت تحت ضغط الدول الكبرى الى قبول معاهدة صلح لندن عام 1913، التي تنص على تخليها عن جميع الاماكن التي تسيطر عليها في أوروبا الشرقية وعن حمايتها، ومنح شعوبها حق تقرير مصيرها بنفسها.

www.SID.ir

بعد عام من توقيع تلك المعاهدة اندلعت

Archive of SID

الحرب العالمية الاولى، فلم تجد دولة الخلافة لنفسها بُداً ومخرجاً إلاّ الانضمام الى الالمان في هذه الحرب ضد الحلفاء، ففي يوم 28 حزيران، يونيو عام 1914م انطلقت الشرارة الاولى للحرب العالمية الاولى، باغتيال ولي عهد النمسا في مدينة ساراجيفو (في يوغوسلافيا حالياً) فاندلعت الحرب، وحاربت المانيا الى جانب النمسا، ثم دخلت تركيا الى جانب المانيا، وانضمت روسيا الى جانب الحلفاء وبعد ذلك جاءت ثورة البلاشفة عام 1917م، وحل الشيوعيون محل القياصرة، وانتهت الحرب العالمية الاولى بفوز الحلفاء.

إن استمرار المؤامرات التي تحوكها الدول الغربية ضد الخلافة الاسلامية، قد ترك أثره العظيم على العالم الاسلامي أجمع، بما في ذلك بلدان آسيا الوسطى، وزاد الوضع سوءاً، حيث كان المسلمون في ذلك الوقت متفرقين، تتنازعهم الاهواء، وتسيطر عليهم اتجاهات دينية، وافكار جديدة طارئة، ونزعات استحوذت على البعض منهم لمصالح ذاتية، ووُجد علماء السوء ووعاظ السلاطين وفقهاء البلاطات، الذين توظفهم السلطات لتبرير الافعال المخالفة للعرف والانسانية والدين. كل ذلك ساعد في زيادة تفتيت وتشتيت القوى الاسلامية والتجمع الاسلامي، في الوقت الذي

www.SID.ir

Archive of SID

يوالي الغرب خطواته في التقدم الصناعي والهندسي والسياسي، والمسلمون لاهون بالمسائل الثانوية والامور الجانبية، مما سهل لساسة الغرب الطامعين ان يسيطروا على بلدان المسلمين الغنية، بعد ان قطعوا اوصال الخلافة الاسلامية، وجزّؤوها الى شعوب وقوميات، وتقاسموا البلدان الاسلامية فيما بينهم، فكان من نصيب روسيا آسيا الوسطى، بحكم الوضع الجغرافي، المعروفة بثرواتها المعدنية، وكان لفرنسا سوريا ولبنان، ولانجلترا العراق وفلسطين، تمهيداً لجعلها وطناً قومياً لليهود، وتنفيذاً لوعد بلفور، كما احتلت انجلترا ايضاً شرقي الاردن. أقر الحلفاء تقسيم آسيا وافريقيا وتجزئتهما بين الدول الغربية المستعمرة، ومع كل هذا لم تستطع روسيا ان تسيطر على بلدان آسيا الوسطى الاسلامية بسهولة، فقد دامت المقاومة اعواماً انتهت بحصار الروس لقلعة اناب الاسلامية، ودافع المسلمون دفاعاً قوياً للحفاظ على هذه القلعة، التي بقيت مركزاً للكفاح حتى فني الكثير منهم، وقضى من قضى بسبب فقدان الزاد والعتاد، وأسر من أسر من الباقين الموجودين في القلعة، حينذاك استطاع الروس احتلال القفقاس، اما من اسر من المسلمين في هذه المعركة فقد سيقوا الى معاقل العذاب في سلوسبروج، حيث قضي عليهم

www.SID.ir

Archive of SID

جميعاً في ذلك المنفى، وكان الروس قبل احتلالهم لبلدان آسيا الوسطى الاسلامية كثيراً ما يختلقون الاسباب، ليتخذوها ذريعة وتمهيداً لاحتلال تلك البلدان، وكانت روسيا تتهم المسلمين بأنهم يسيئون معاملة المسيحيين ويعذبونهم لتثير حفائظ مسيحيي العالم، وتؤلبهم ضد مسلمي آسيا الوسطى، وتجعل لنفسها عذراً في هجومها على البلدان الاسلامية باسم انقاذ الاقلية المسيحية من مظالم المسلمين، ووحشيتهم، مع ان الواقع التأريخي المؤكد يثبت انه ليس هناك مسيحيون في بلدان آسيا الوسطى.

رأت روسيا ان الانجليز يستعمرون الهند وبعض مناطق جنوب آسيا، وهولندا مستولية على اندونيسيا، وفرنسا على بلدان الهند الصينية، وبعض بلدان افريقيا موزعة على الاستعمار الغربي، وهذه المستعمرات تدر آلاف الملايين من الجنيهات لمستعمريها، وكان حظ روسيا كحظ غيرها من دول الاستعمار المستولية على ارجاء واسعة، غنية بالبترول والفحم الحجري واليورانيوم والمغنيسيوم والذهب والنحاس ومعادن اخرى، الى جانب خصوبة ارضها. فكانت روسيا تعتمد كلياً على الموارد التي تدرها عليها بلدان آسيا الوسطى الاسلامية.

www.SID.ir

واذا رجعنا الى معاهدة لندن عام 1920

Archive of SID

التي تمت بين الدول الغربية وروسيا من جهة، وتركيا من جهة اخرى، في موضوع مرور السفن عبر البسفور والدردنيل، نجد ان هذه المعاهدة لم تكن الا وليدة معاهدة سان ستيفانو عام 1878م، فقد اضعفت هذه المعاهدة تركيا من جهة، وافادت روسيا من جهة اخرى، حيث كانت تلك الدول جبهة واحدة امام تركيا، ثم حل عام 1923 الذي عدّلت فيه هذه المعاهدة لتقتصر على الدول المحايدة، لئلا تشمل المانيا وايطاليا واليابان، التي بدأت آنذاك تنافس الحلفاء وتطورت الى مستوى الدول الكبرى، ثم عدلت هذه المعاهدة بمعاهدة اخرى عام 1936، تم التوقيع عليها في مونتريو.

www.SID.ir